The Campaign against Imam Ali's Educational Concepts: A Critical Historical Study

Assistant Professor Dr. Muhsin Tu'ma Yousif
University of Basrah / College of Arts
E-mail: muhsin.yousif@uobasrah.edu.iq

Abstract:

This study aims to analyze the process of value-based and epistemic decline affecting the noble educational concepts established by Imam Ali (peace be upon him) through his sermons and exhortations. These concepts did not lose their value as a result of serious criticism or intellectual development; rather, their decline resulted from a process of social deconstruction that transformed them from principles intended to inspire reform and action into objects of ridicule and mockery. This development represents the culmination of the community's loss of its ability to engage responsibly with its intellectual heritage.

The study examines how Islamic society after the time of Imam Ali (peace be upon him) dealt with these concepts, particularly during periods marked by deterioration in governance and conduct, such as the Umayyad era. It focuses especially on the most critical stage, when ideas are removed from the sphere of seriousness and become objects of derision. Such behavior may be regarded as an indicator of the beginning of the end of any value system, since ridicule represents a form of disengagement from both epistemic and practical responsibility toward those values.

The study further emphasizes the danger of mockery as a behavioral mechanism for marginalizing ideas. The widespread ridicule of values and symbols is more damaging than the prevalence of serious criticism, because criticism preserves the discipline and seriousness of intellectual engagement, whereas ridicule releases the mind from the responsibility of inquiry and undermines rigorous intellectual debate. This ultimately obscures the genuine value of concepts and removes them entirely from serious public discourse.

Historically, the same mechanism was employed by the opponents of prophets and reformers, as it creates an illusion of obviousness before the details are seriously examined. The eventual result is the erosion and disappearance of noble concepts, a process that threatens the cohesion of the social structure and may leave society vulnerable to domination by other nations.

Keywords: Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), Educational Concepts, Ridicule and Mockery, Social Deconstruction, Umayyad Era, Mu'awiya ibn Abi Sufyan, Epistemic Criticism.

محاربة المفاهيم التربوية للإمام علي (ع) دراسة تاريخية نقدية

الاستاذ المساعد الدكتور محسن طعمة يوسف

جامعة البصرة / كلية الآداب

E-mail: muhsin.yousif@uobasrah.edu.iq

الملخص:

يهدف البحث إلى تحليل مسار الاضمحلال القيمي والمعرفي للمفاهيم التربوية السامية التي أرساها الإمام علي(عليه السلام) عن طريق خطبه ومواعظه. إذ أن هذه المفاهيم النبيلة لم تخسر قيمتها بفعل النقد الجاد أو التطور المعرفي، بل بفعل آلية التفكيك الاجتماعي التي حولتها من مادة للتغيير والعمل إلى مادة للسخرية والاستهزاء، وهو ما يمثل ذروة فقدان الأمة لقدرتها على التعامل بمسؤولية مع تراثها الفكري، كما إن تعامل المجتمع الإسلامي بعد عصر الإمام علي(عليه السلام) مع هذه المفاهيم، لاسيما في الفترات التي شهدت تدهورا في الإدارة والسلوك مثل العصر الأموي. وصولاً إلى المرحلة الأخطر ألا وهي المرحلة التي تخرج فيها الأفكار عن دائرة الجدية لتصبح هدفًا للاستهزاء. ويُعد هذا السلوك مؤشراً على بداية النهاية لأي نظام، إذ يمثل السخرية إعلاناً عن التحرر من المسؤولية المعرفية والعملية تجاه تلك القيم، كما أن خطورة الاستهزاء بوصفها أداة سلوكية لتهميش الأفكار. كما أن رواج السخرية بالقيم والرموز هو أسوء من رواج النقد العميق؛ لأن النقد يحافظ على ضوابط الاشتباك المعرفي وجديته، في حين أن السخرية تخرج العقل من مهمة البحث، وتلغي النقاش المعرفي الرصين، مما يؤدي إلى طمس القيمة الحقيقية للمفاهيم وإخراجها نهائيا من الحوار العام.

هذه الآلية هي نفسها استخدمها خصوم الأنبياء والمصلحين تاريخيا، إذ تعطي وهماً واضحاً قبل الخوض في التفاصيل، لتكون النتيجة النهائية هي سقوط المفاهيم النبيلة وتلاشيها، وهو ما يهدد بانهيار البنية المجتمعية وجعلها فريسة للأمم الأخرى.

الكلمات المفتاحية : الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، المفاهيم التربوية ، السخرية والاستهزاء ، التفكيك الاجتماعي ، العصر الأموي ، معاوية بن أبي سفيان ، النقد المعرفي.

المقدمة:

إن تعاليم الإمام علي(عليه السلام)) لها مكانة بين المسلمين، إذ إن الإمام كان له دور مهم في تنشيط الفكر الإسلامي وتوجيه المسلمين في وقته، إلا أنه عبر التاريخ، ظهرت محاربة التعاليم من خلال السخرية من تعاليم الإمام علي(عليه السلام) التربوية. قد تكون ناتجة عن فهم خاطئ أو تفسيرات ساخرة لمفاهيمه، فالإمام علي(عليه السلام) كان يؤكد على أهمية التسامح والتعايش السلمي والمحبة للإنسانية كجمعية، لكن بعض الساخرين يرون ذلك بأنه تعاليم ضعيفة ولا تتناسب مع مجريات الحياة اليومية، وهنا يكمن مفهوم السخرية، فهي تعبر عن تباين الآراء والمفاهيم التربوية بين الأفراد.

قد يرى البعض السخرية من تعاليم الإمام علي(عليه السلام) في المجال التربوي بأنها وسيلة لعدم تطبيق هذه التعاليم والتقليل من قيمتها، ومع ذلك، يمكننا أن نتأمل في ذلك ونستشف معانٍ أخرى، ربما تكون السخرية نتاجاً للتعصب المذهبي أو الجهل بالفهم العميق لتعاليم الإمام علي(عليه السلام). وبدلاً من السخرية، قد يكون من الأفضل استكشاف وفهم القيم الحقيقية التي حاول الإمام علي(عليه السلام) غرسها في قلوب المسلمين.

يجب علينا أيضاً أن نوضح دور السخرية في المجتمع بصفة عامة، قد تكون السخرية البناءة قوة إيجابية تساهم في رصانة التفكير وتذكرنا بأهمية التحلي بالروح النقدية، ومع ذلك، عندما يتجاوز الأمر حدوده ويصبح سبباً للتجريح والإهانة، فإنه يفقد أي قيمة بناءة قد يملكها.

باختصار، السخرية من تعاليم الإمام علي(عليه السلام) التربوية قد تكون موجودة نتيجة للتباينات في الفهم والعقيدة، ويمكن أن توجد أسباب عديدة لهذه السخرية، من التعصب المذهبي إلى الجهل بالمفاهيم الحقيقية.

يمر البحث بعد المقدمة بثلاثة مباحث وهي المعنى اللغوي والاصطلاحي للسخرية والمفردات المرادفة لها والمبحث الثاني سخرية معاوية المباشرة من الإمام علي(عليه السلام)، أما المبحث الثالث فكان بعنوان السخرية من تعاليم الإمام علي(عليه السلام) التربوية، خاتماً بأهم النتائج التي تم التوصل اليها من خلال سخرية الامويين وما الت اليه الأمور بعد ان ابتعد المجتمع عن التعاليم الحقيقية.

المبحث الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للسخرية والمفردات المرادفة لها

اولاً: المعنى اللغوي:

يتميز جذر(س خ ر) بوجود دلالتين متقابلتين ظاهريًا، ولكنهما تلتقيان في مفهوم القهر والإخضاع، وهما دلالة الاستهزاء ودلالة التسخير. هذه الثنائية هي بمثابة الفهم الأساس لتشكيل التعقيد الدلالي للمصطلح.

يتمثل المعنى المحوري للسخرية في اللغة بالهزء والاستهزاء، إذ يُعرف الفعل "**سَخِرَ**" بمعنى "**هزئ به**" أو "**سَخِرَ منه وبه**"[١] وتتعدد المصادر والصيغ الدالة على هذا المعنى، مثل "**سَخْراً، وسَخَراً، ومَسْخَراً، وسُخْراً(بالضم)، وسُخْرَةً، وسِخْرِيّاً، وسُخْرِيَّة**"[٢]. هذا التنوع في الصيغ يؤكد مركزية هذا المفهوم في الاستعمال اللغوي، إذ تشير السخرية في جوهرها إلى فعل استزراء للعقل والقيمة، مما يضعها في منزلة التحقير المعنوي.

وقد أشار علماء اللغة إلى مسألة حروف الجر المصاحبة للفعل. فقد يُنقل عن الفراء أن اللغة الفصيحة، والتي استُخدمت في السياق القرآني، تفضل استخدام حرف الجر "**مِنْ**"، كما في قوله تعالى: {لا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ}، بينما يُعد استخدام حرف الجر "**الباء**"(سَخِرْتُ به) أردأ اللغتين، على الرغم من أن الأخفش ذكر جواز الاستخدامين: "**سَخِرْتُ منه وسَخِرْتُ به**"[٣].

إن تفضيل صيغة "**سَخر من**" يوجه الفعل نحو مسبب أو منبع للسخرية(مثل الفعل الذي يصدر من المسخور منه)، مما يربط السخرية بالتحقير الاجتماعي الموجه نحو عيب أو صفة ظاهرة.

كما يمكن أن تأتي كلمة "**سُخْرِيّ**" أو "**سُخْرِيَّة**" بصيغة النعت، للدلالة على من يُسخر منه، فيقال "**هم لك سُخْرِي وسُخْرِيَّة**"، وهذا يُبرز البعد التلقي(المفعول به) للسخرية[٤].

لا ينحصر جذر(س خ ر) في الاستهزاء، بل يحمل دلالة أخرى مناقضة شكليا وهي التسخير، والتي تعني القهر والتذليل والإخضاع، والتسخير(بصيغة سَخَّرَ بالتشديد) هو تكليف الشخص بعمل ما دون أجر، أو جعله مقهورا مدبرا لا يملك لنفسه خلاصًا من القهر[٥].

وفي السياق القرآني، ورد التسخير بمعنى التذليل الكوني، مثل تسخير ما في السماوات وما في الأرض لخدمة الإنسان ومصلحته[٦].

إن تحليل التداخل بين"**السخرية**" و"**التسخير**" يقود إلى استنتاج مفاده أن العنصر المشترك بين الدلالتين هو القهر فإذا كانت السخرية هي قهر معنوي(استزراء العقل)، فإن التسخير هو قهر مادي أو إخضاع طبيعي. هذا الاستنتاج يُعمق فهم السخرية بوصفها فعل استعلائي يهدف إلى وضع الطرف الآخر في موقع "**المُسخر والمقهور**"، رافعا إياها من مجرد ضحك عابر إلى فعل إذلال رمزي[٧].

ويظهر هذا التداخل بشكل جلي في قراءة قوله تعالى:{لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا}، إذ قُرئت بالضم (سُخْرِيًّا)، وتعني الشخص المُسخَّر والمُكلَّف بالخدمة(القهر المادي)، وقُرئت بالكسر(سِخْرِيًّا)، وتعني السخرية والاحتقار (القهر المعنوي) [٨].

يتناول القرآن الكريم السخرية والهزأ بوصفها أفعال منهي عنها، مع تخصيص دقيق للسخرية في سياق العلاقات الاجتماعية بين المؤمنين، وتحديد آثارها الأخلاقية والشرعية، وقد جاء النهي الصريح عن السخرية في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ}[٩].

هذا النهي يضع السخرية مباشرة في سياق التحريم الاجتماعي والأخلاقي بين المؤمنين.

إن العلة الشرعية للنهي هنا تقوم على الاحتمالية المعبر عنها بـ **{عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ}**، وهذا يدل على أن السخرية غالبًا ما تنبع من حكم ظاهري خاطئ يصدر من الساخر تجاه صفة أو هيئة أو سلوك عند المسخور منه، متجاهلا مكانته الحقيقية عند الله، ويؤكد هذا السياق أن السخرية تمثل استزراءً قائما على الأوهام، وهي من دواعي الفسوق بعد الإيمان. وقد ذهب بعض العلماء إلى أن من يلقب أخاه أو يسخر منه فهو فاسق[١٠].

عندما وردت السخرية في سياق الجزاء الإلهي، كما في قوله تعالى: **{فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ}**[١١] فإنها تحمل دلالة المجاز والمقابلة في اللفظ. إذ لا يجوز إطلاق السخرية بمعناها الحقيقي (الذي يعني التحقير) على الله تعالى، بل تُفسّر سخرية الله بأنها "**جزاء سُخريتهم**"، أي الوعيد والإهانة المقابلة لفعلهم. ويُعرف هذا في البلاغة بجزاء الفعل بلفظه، إذ يتحول التحقير الذي مارسه الساخرون ضد المؤمنين إلى عذاب مؤلم ومهين من الله تعالى[١٢].

في سياق وصف المشركين الذين يرون آيات الله، قال تعالى: **{وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ}**[١٣]. صيغة الاستفعال هنا (يَسْتَسْخِرُونَ) تحمل دلالة تزيد عن مجرد الفعل(يَسْخَرُونَ).

اي أنهم لم يكتفوا بالاستهزاء بأنفسهم، بل دعوا الآخرين وطلبوا منهم المشاركة في السخرية والاستهزاء، سعيًا منهم لتعميم هذه الإهانة ونشرها في المجتمع. هذا يحول السخرية من فعل فردي إلى جهد مجتمعي منظم لنشر الاستخفاف.

إن دلالة الاستفعال تُعزز البعد التنظيمي للتحقير، إذ يوحي الاستسخار بوجود نية خبيثة لنشر الريبة والتقليل من شأن الحقائق الدينية، وهذا يمثل مستوى أشد خطورة في الجرم من السخرية الفردية البسيطة.

على الرغم من الترادف اللغوي الجزئي، فإن الاستخدام القرآني يخصص دلالة الاستهزاء أعم من السخرية، إذ يُلاحظ أن الاستهزاء ورد عامًا في القرآن ليشمل السخرية بأشياء غير الأشخاص، مثل

السخرية بآيات الله ورسله {**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**}[١٤]، بينما السخرية وردت غالبًا مخصصة للأشخاص {**لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**}[١٥] هذا التخصيص يشير إلى أن السخرية هي التقليل من قيمة الآخرين. والاستهزاء هو المصطلح الأعم الذي يشمل السخرية، ولكنه ينقل الفعل إلى نطاق العقيدة عندما يتعلق بالأمور الإلهية. وبالتالي، تُعد السخرية جريمة أخلاقية واجتماعية موجهة ضد الذات الإنسانية المؤمنة، بينما الاستهزاء بآيات الله جريمة عقائدية أشد خطرًا.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:التعبير بخلاف المقصود

السخرية اصطلاحًا تُعرف على أنها "**طريقة في الكلام الذي يُعبّر بها الشخص عن خلاف ما يقصده بالفعل**". وهي تقنية بلاغية تُعرف أيضًا بـ "**الاستهزاء بلفظ المدح**" أو "**الإيحاء بعكس ما يُقال**"، ومن أشهر الأمثلة على ذلك قولنا للبخيل: "ما أكرمك"[١٦] وهي بذلك تُعد نوعًا من الهزء قوامه الامتناع عن إسباغ المعنى الواقعي على الكلمات، بهدف توليد مفارقة نقدية[١٧].

يؤكد هذا المفهوم أن السخرية البلاغية تقوم على فكرة المقابلة بين الحق والباطل، أو بين الصدق والكذب، أو بعبارة أدق، "بين ما يكون وما ينبغي أن يكون[١٨].

تتداخل مفاهيم السخرية، والهزأ، والتهكم، بشكل كبير، إذ يُعد الهُزْءُ والهُزُؤُ مرادفًا لغويًا للسُّخْرِيةُ، وقد أورد الأخفش أن سخرت منه وبه، وضحكت منه وبه، وهزئت منه وبه، كلها تقال بنفس المعنى، الاستهزاء هو الأصل الأعم، ويمكن اعتباره المظلة اللغوية لكافة أفعال الاستخفاف، اما التهكّم يحمل دلالات لغوية عميقة تتعلق بالاستعلاء والانفعال الشديد، والتهكُّم هو التكبُّر، والمُسْتَهْكِمُ هو المُتكبِّر. كما يرتبط بالغضب الشديد (تهكَّم عليه إذا اشتد غضبُه) [١٩].

يُعد التهكم لونًا من ألوان السخرية، ولكنه يمثل ذروة السخرية اللفظية ووسيلة لخدمة الغرض الساخر، ويرتكز التهكم على المبالغة والجمع بين النقائض لتضخيم العيب في الشخص المعوج ونقده[٢٠]، وفيما يتعلق بحدة الفعل، هناك رأيان: يرى البعض أن السخرية أكثر قسوة من التهكم لأنها غالبًا ما تأخذ شكل خطاب لاذع ومؤذٍ، بينما التهكم يحاول معالجة الحماقة عبر جعل الناس يضحكون عليها[٢١].

المبحث الثاني: سخرية معاوية المباشرة من الامام علي(عليه السلام)

عند دراسة سخرية معاوية من الإمام علي (عليه السلام)، يجب تحليل الأحداث في سياقها التاريخي والسياسي، إذ نشأت سخرية الأمويين من تعاليم الإمام علي (عليه السلام) بشكل رئيس من خلال الخطب والأشعار والأقوال التي كتبها وألقاها تجاههم، في محاولة لإلقاء الشكوك حول شرعيته وتعليماته الدينية.

وكانت أحد أبرز تعاليم الإمام علي (عليه السلام) التربوية هي تعزيز قيم الصبر والثبات. إذ إن الحياة قد تكون مليئة بالتحديات والصعوبات، ولكنه علّمنا أنه يجب علينا أن نواجه هذه التحديات بالصبر وعدم الانكسار. ولعل ابرز هذه الأشياء تكمن في الرسائل المتبادلة فيما بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية والتي يمكن من خلالها معرفة بدايات السخرية التي عمل عليها معاوية وقد ردها الامام علي (عليه السلام) وواضح واحدة من مفرداتها الا وهي الهزل.

لذا تُعد المراسلات بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بن أبي سفيان وثائق بالغة الأهمية فهي لا تقتصر (أي الرسائل) على كونها تبادلاً سياسياً فحسب، بل هي سجالات عقدية وفقهية واخلاقية، فضلا عن انها تشكيل للرأي العام وتثبيت للشرعية. ومثال على ذلك ما جاء في كتاب معاوية إلى الإمام علي (عليه سلام)، إذ استخدم معاوية السخرية بمعناها الأخلاقي والاجتماعي المذموم، والذي يهدف إلى التقليل من قيمة الامام، وهو ما يُعد نوعًا من الخطاب اللاذع إذ وصف أنصار الامام بـ "**أوباش أهل العراق**"، و"**حمقى الفسطاط**"، و"**غوغاء السواد**"[٢٢]، وهي سخرية مباشرة قائمة على التقليل من شأن الأفراد وقيمتهم، كما ان معاوية يصور الإمام بأنه شخصًا "**طامعًا**" وأنه قتل الخليفة عثمان والزبير[٢٣] وطلحة[٢٤]، وتشريد السيدة عائشة[٢٥]، مما يخلق تناقضًا ساخرًا بين المكانة المدعاة والواقع الموصوف.

جرى هذا التراسل بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، إذ كان معاوية متمسكاً بولايته على الشام ومطالباً بدم عثمان، وهذه الرسالة تحمل اتهامات للإمام علي (عليه السلام) وتشكك في سلطته، وقد وصلت هذه الاتهامات إلى حد رمي الامام علي (عليه السلام) بالحسد على الخلفاء السابقين وبالسعي غير المشروع للسلطة، حسب ادعاءه. ومن هذا المنطلق، لم يكن رد الامام علي (عليه السلام) مجرد جواب دبلوماسي، بل كان بياناً مفصلاً لوضع المعايير الأخلاقية واللاهوتية التي تحكم الصراع.

وفي معرض رد الإمام علي (عليه السلام) حول رسالة معاوية انفة الذكر والتي أشار فيها الامام علي (عليه السلام) الى كمية الهزل بكلام معاوية فقط. إذ يبدأ الإمام علي (عليه السلام) رسالته بفرض معيار أخلاقي عالٍ على المتلقي، وهو معيار يتجاوز التفاوض السياسي المعتاد إلى المحاسبة الذاتية والإيمان. وتُعد هذه البداية تمهيداً دينياً يهدف إلى إبطال أي شرعية يمكن أن يستمدها معاوية من قوته العسكرية أو مؤيديه[٢٦].

يستهل الإمام علي (عليه السلام) رسالته بـ: (("**فقدر الأمور تقدير من ينظر لنفسه دون جند، ولا يشتغل بالهزل من قوله**))"[٢٧]. ويمثل هذا المقطع دعوة لمعاوية للتخلي عن الملاذ النفسي الذي توفره له قوته العسكرية في الشام، ويطلب منه أن يقوم بتقييم ذاتي للموقف، كما لو كان فرداً وحيداً أمام الله، لا زعيماً محاطاً بجيش قوي. وهذا مطلب جوهري؛ إذ إن الإمام علي (عليه السلام) يسعى لنزع صفة الشرعية الجهادية عن جيش الشام، جاعلاً إياه مجرد أداة دنيوية لا تستحق النظر إليها في سياق التقويم الديني، فضلاً عن ذلك يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على أن القوة الحقيقية ليست في الكثرة أو العدد، بل في الصدق الداخلي والنظرة المتجردة. إن التركيز على "**تقدير من ينظر لنفسه**" هو نقل للنزاع من ميدان المعركة إلى محكمة الضمير الإيماني.

ويعقب الإمام علي (عليه السلام) ذلك بالقسم والشرط القاطع: (("**فلعمري لئن كانت قوتي بأهل العراق، أوثق عندي من قوتي بالله ومعرفتي به فليس عنده بالله تعالى يقين من كان على هذا**"))[٢٨]

يشكل هذا الشرط آلية بلاغية لإعادة تحديد محور النزاع. فمعاوية كان يطعن في اعتماد الإمام علي (عليه السلام) على أهل العراق، الذين كانوا خليطاً من المناصرين الصادقين والمترددين. وبدلاً من أن يدافع الإمام علي (عليه السلام) عن أهله، فإنه يحول هذه النقطة إلى اختبار إيماني مطلق. فهو يقرن الثقة بقوة أهل العراق بالثقة بقوة الله. ويوضح أن أي حاكم يعتمد على جنده أكثر من اعتماده على خالقه هو حاكم يفتقر إلى اليقين المطلق.

هذا التأسيس العقدي له دلالة عميقة كونه يضع قياساً إيمانياً يوجب على معاوية نفسه أن يحكم على موقفه. إذا كان معاوية يحارب بناء على قوة جيشه في الشام، فإنه بموجب هذا المبدأ الإلهي، هو الذي يفتقر إلى اليقين. وبهذه الطريقة يعلن الإمام علي(عليه السلام) مناصريه بوصفهم "أهل اليقين" بينما يدفع بمعاوية إلى خانة "أهل الشك"، مغيراً بذلك طبيعة الحرب من صراع على السلطة إلى اختبار للصدق الإيماني.

يأمر الإمام علي(عليه السلام) معاوية بمناجاة نفسه بجدية:(("**فناج نفسك مناجاة من يستغني بالجد دون الهزل، فإن في القول سعة، ولن يعذر مثلك فيما طمح إليه الرجال**"))[٢٩]

إن التضاد بين الجد والهزل هو مفتاح لتحليل الموقف السياسي لمعاوية. إذ يشير الإمام علي (عليه السلام) إلى أن معاوية يشتغل بالجدل والتلاعب اللفظي الذي يتسم بالسعة والمرونة "**فإن في القول سعة**"، بينما القضايا التي يتنافس عليها الرجال العظام (الخلافة وإقامة العدل) تتطلب جدية مطلقة. وهذا يعني أن الإمام علي (عليه السلام) يرى أن تحركات معاوية ليست سوى مناورات سياسية لا ترقى إلى مستوى المسؤولية التي تطمح إليها شخصيات قيادية مؤمنة.

ينتقل الإمام علي (عليه السلام) في رده إلى النقاط التاريخية والادعاءات المتعلقة بالقرابة والصراع، موضحاً كيف أن الفارق الأساسي بينهما ليس سياسياً أو قبلياً، بل هو ديني يعود إلى بدايات الدعوة

الإسلامية، فقد أشار معاوية في مراسلاته إلى القرابة المشتركة(بنو عبد مناف) محاولاً تسوية مكانته بمكانة الإمام علي(عليه السلام) وإيجاد أرضية مشتركة، وجاء رد الإمام علي(عليه السلام) ليقر بهذا الماضي المشترك ولكنه يفرغ منه محتواه الحالي:(("**وأما ما ذكرت من أنا كنا وإياكم يداً جامعة فكنا كما ذكرت، ففرق بيننا وبينكم أن الله بعث رسوله منا، فآمنا به وكفرتم**"))[٣٠]

إن اعتراف الإمام علي(عليه السلام) بالوحدة السابقة("فكنا كما ذكرت") لا يلبث أن يُبطل بتأكيد السبب الأسمى للانقسام. ويعد هذا السبب هو العامل الإلهي المؤسس لبعثة النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) من آل هاشم (منا)، وما ترتب على ذلك من قبول فوري من طرف الإمام علي(عليه السلام) وعشيرته، ومقاومة وكفر من طرف بني أمية وأهل مكة قبل الفتح. هذا التأكيد على أن الله بعث الرسول من بني هاشم وتركيزه على "كفرتم"، يدحض ادعاء معاوية بالمساواة السياسية القائمة على القرابة القبلية وحدها.

إن استخدام الإمام علي(عليه السلام) لهذا السياق التاريخي، لا سيما الإشارة الصريحة إلى الكفر، هو استراتيجية لربط التمرد الحالي لمعاوية بموقف أسرته المعادي للإسلام في بداياته، مما يجرد معاوية من صفة السبق الإيماني ويصنفه ضمن فئة "الطّلقاء"[٣١] أو من أسلم متأخراً. وبذلك، يتحول الانقسام من صراع على السلطة إلى امتداد للانقسام بين المهاجرين الأوائل والمقاومين القدامى للرسالة.

كانت تهمة قتل الزبير وطلحة في معركة الجمل(٣٦هـ/٦٥٦م) نقطة محورية حاول معاوية استغلالها لتشويه صورة الامام علي (عليه السلام) الشرعية. وقد رد الإمام علي (عليه السلام) على ادعاء معاوية بأنه هو من قتل طلحة والزبير جاء بـ:

(("**ثم زعمت أني قتلت طلحة والزبير، فذلك أمر غبت عنه ولم تحضره، ولو حضرته لعلمته، فلا عليك، ولا العذر فيه إليك**"))[٣٢]

يركز الإمام علي (عليه السلام) على أنه لم يكن حاضراً بنفسه ليرى تفاصيل مقتلهما أو ليقوم به، مشيراً إلى أن قتلهما كان نتيجة لأحداث المعركة، ويشدد الإمام علي(عليه السلام) على أن معاوية كان غائباً عن المعركة("لم تحضره")، وبالتالي فإنه يفتقر إلى حق الشهادة أو الحكم على مجرياتها. ويبلغ الأمر ذروته في قوله: "**فلا عليك، ولا العذر فيه إليك**"، وهي عبارة تفيد الاستغناء المطلق عن تبريره أمام معاوية، مؤكداً أن معاوية ليس طرفاً شرعياً في هذه الدعوى.

بهذا، يتبنى الإمام علي(عليه السلام) موقفاً قانونياً وبلاغياً يسمح له بتأكيد شرعية عمله العسكري في الجمل بوصفة قائد واجب الطاعة، مع رفض الاتهام الشخصي بالقتل العمد، وتجريد معاوية من سلطة المحاسبة.

وتعد هذه الإشارة هي من اوثق واولى سمات السخرية التي لجأ اليها معاوية لغرض التقليل من قيمة الكم الهائل من الموازين التربوية والثقافية التي كان يعززها الإمام علي(عليه السلام) في أقواله وافعاله، إذ

ان تعاليم الإمام علي(عليه السلام) التربوية تتحدث إلى النفوس وتشجع على بناء مجتمع أفضل من خلال العدل. وإن استيعاب هذه التعاليم وتطبيقها في حياتنا سيساهم في تربية جيل مثقف ومتسامح يعيش وفقًا للمبادئ النبيلة والقيم الإنسانية.

ومن ذلك تبنى معاوية نهج التهكم بهدف تقويض سلطة الإمام علي(عليه السلام) والترويج لنفسه وتشويه سمعته وتصويره عدو للإسلام والسلم العام، اذ بعث بكتاب قال فيه(("**أما بعد فقد وقفت على كتابك، وقد أبيت على الفتن الا تماديا**"))[٣٣]

وقد رد عليه الإمام علي (عليه السلام) بقوله: " **أما بعد، فإن ما أتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك الذين حملهم الكفر**"[٣٤] لقد جرد الإمام علي(عليه السلام) معاوية من أي شرعية دينية أو حتى سياسية من خلال ربط تمرده الحالي بجذور عائلته التاريخية المعادية للإسلام. فبعد أن أبطل الإمام علي(عليه السلام) ادعاء معاوية بالوحدة القبلية "**كنا وإياكم يداً جامعة**" في المقطع السابق، ينتقل هنا إلى الهجوم المضاد، مؤكداً أن ضلال معاوية(الخلف) ليس سوى امتداد لكفر أسلافه (السلف)، فقد اعتمد هذا الجزء من الرسالة على استراتيجية التأصيل التاريخي والديني.

إذ يرى الإمام علي(عليه السلام) أن حركة معاوية(الفتنة) ليست حدثاً معزولاً، بل هي استئناف طبيعي لسلوك سابق مارسته عائلة بني أمية تجاه الدعوة النبوية. من خلال ربط ضلال معاوية بـ "**حسد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم**"[٣٥] الذي دفع قادة قريش من بني أمية إلى الكفر ومحاولة إبطال الدعوة. وهذا بحد ذاته يصور النزاع على أنه صراع أزلي بين الحق التاريخي والباطل، كما يُذكر الإمام علي(عليه السلام) معاوية بمصير هؤلاء الأسلاف "**صرعوا مصارعهم حيث علمت**"[٣٦] الذين قتلوا في معارك فجر الإسلام، مؤكداً فشلهم في "دفع عظيم" أو "منع حريم"، مما يضعف في نفس معاوية الثقة في حركته القائمة على نفس الأسس القديمة، فضلا عن ذلك يفتخر الإمام علي (عليه السلام) بدوره المحوري في تلك المعارك "أنا صاحبهم في تلك المواطن"، "القاتل لرؤوسهم رؤوس الضلالة". هذا التذكير يؤكد على فضله الديني المتميز، وعلى أن يد الإمام علي(عليه السلام) هي التي أنهت شرعية قادة معاوية الأوائل.

ان كلام الإمام (عليه السلام) فيه دليل واضح للفكرة التي تبنيناها وهي أن خصوم الأنبياء والمرسلين يلجؤون بعد ضعف حجتهم الى السخرية والاستهزاء من أولياء الله الصالحين وهذا ما أشار اليه الإمام علي (عليه السلام) في معرض رسالته انفاً، حتى وصل الامر بمعاوية الي التطاول والتجاوز على شخص الامام استخفافاً منه بعد أن ضاق عليه الأمر ودمغت حجته فقال:

(("**أما بعد، فقد طال في الغي ما استمررت أدراجك كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك**"))[٣٧]

وليس في رسالة معاوية إلاّ السخرية من الحق والتنكّر للقيم والأعراف والمثل التي تؤمن بها الامم والشعوب، إذ يحاول بسخرية نفي جميع الأحاديث والاقوال التي رويت بشأن الإمام علي (عليه السلام). **بقوله:(("فتوعد وعيد الأسد، وتروغ روغان الثعلب، فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية، والأفاعي القاتلة، ولا تستبعدنها ، فكل ما هو آت قريب إن شاء الله والسلام"))**[٣٨].

فكتب إليه الإمام علي (عليه السلام)

(("أما بعد فما، أعجب ما يأتيني منك. وما أعلمني بما أنت إليه صائر! وليس إبطائي عنك إلا ترقبا لما أنت له مكذب، وأنا به! مصدق"))[٣٩]. وهنا يؤكد ثقة الإمام علي(عليه السلام) في مساره، ويحتوي على نبوءة سياسية دقيقة حول تطورات الحرب ونتيجة استسلام معاوية، لا سيما الإشارة إلى "**كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم**"[٤٠]، وهنا بطبيعة الحال استغراب من إصرار معاوية على التمرد، وتأكيد على علم الإمام علي (عليه السلام) بمصير معاوية ونهاية تمرده، مما يضع الإمام علي (عليه السلام) في موضع العارف بحقائق الأمور ونتائجها، كما يوضح الإمام علي(عليه السلام) أن تأخره في الحسم العسكري ليس ضعفاً، بل هو انتظار لحدث إلهي أو حقيقة سياسية كبرى، يؤمن بها الإمام علي (عليه السلام) ويكذبها معاوية "**وكأني بك غداً وأنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال**"[٤١] وهي نبوءة واضحة ومجاز قوي يصف شدة الحرب التي تجعل معاوية وقومه يتألمون ويصرخون كما تئن الإبل تحت الأحمال الثقيلة، في إشارة إلى هزيمتهم النفسية أو العسكرية الوشيكة في صفين، "**وستدعوني أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم**" هذه هي النبوءة الأكثر شهرة، وتشير بوضوح إلى حادثة في صفين، إذ يصف الإمام علي (عليه السلام) رفع المصاحف بوصفها خديعة لا إيماناً حقيقياً، وذلك لاستخدام القرآن لإنهاء القتال لا للعمل به. وقد وصف الإمام علي (عليه السلام) هذا الموقف في موضع آخر بقوله: "**إنها كلمة حق يراد بها الباطل**"[٤٢].

وأجاب معاوية عن رسالة الإمام (عليه السلام) بهذه الرسالة:

(("أمّا بعد فدعني من أساطيرك واكفف عنّي من أحاديثك وأقصر عن تقوّلك على رسول الله وافترائك من الكذب ما لم يقل وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أنّ ما جئت به باطل مضمحلّ والسلام"))[٤٣].

كما أن رد الإمام علي(عليه السلام) على رسالة معاوية رداً يحمل في طياته جملة من تعاليم الامام التربوية والتي تبعث عن كمية الاخلاق التي يحملها الامام في بيان كلامه الذي اعرب فيه عن قمة التربية الخلقية للامة والمجتمع الإسلامي والتي يبدأ الإمام علي(عليه السلام) برد مباشر على اتهام معاوية السابق له بأن حججه "أساطير". هنا، يقلب الإمام علي (عليه السلام) الطاولة، موجهاً الاتهام إلى معاوية وأتباعه بأنهم هم مَن وصفوا الحق بأنه "**أساطير الأولين**"، بقوله:

(("فطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين"))[٤٤].

يربط الإمام علي(عليه السلام) معارضة معاوية بتلك المعارضة التي قادها أسلافه الكافرون ضد النبوة، إذ وصفوا الوحي الإلهي بـ "أساطير الأولين"، فضلاً عن محاولة أسلاف معاوية محاربة الإسلام، التي عبر عنها الامام بقوله:

(("ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم والله متم نوره ولو كره الكافرون"))[٤٥].

كما ويستخدم الآية القرآنية ليؤكد أن حركة معاوية الحالية هي امتداد لـ **محاولة إطفاء نور الله**، وأن هذا النور سيتم، رغماً عنهم.

وينتقل الإمام علي(عليه السلام) إلى التحذير من العاقبة الأخروية لتمرد معاوية

(("فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك فكأنك بباطلك وقد انقضى وبعملك وقد هوى ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئاً وما ربك بظلام للعبيد))"[٤٦].

كما يؤكد الإمام علي(عليه السلام) على حتمية نهاية معاوية وسقوط عمله، وأن مصيره النهائي هو "**لظى**"، مبرئاً الله تعالى من الظلم، ومشيراً إلى أن الجزاء هو نتيجة لأفعال معاوية نفسه [٤٧].

يعود الإمام علي(عليه السلام) ليذكر معاوية بإذلالين عسكريين وسياسيين محددين تعرض لهما إخوة معاوية، في محاولة لكسر شوكته وتأكيد قوته في المواجهة المباشرة، إذ يذكر الامام علي(عليه السلام) معاوية بمحاولة مطاردته وهروب معاوية منه، مُهدداً بأنه لولا مبدأ الإمام علي(عليه السلام) بعدم مطاردة الفارين من الحرب، لكان مصيره مصير إخوته، وهذا يرسخ تفوق الإمام علي(عليه السلام) في الشجاعة وفي ساحة النزال [٤٨].

ويقسم الإمام علي(عليه السلام) قسماً صادقاً بأن المواجهة القادمة ستكون حاسمة، كما ويختتم الإمام علي(عليه السلام) رسالته بدعوة أخيرة للتوبة، ثم يعود ليطلق أقوى التهديدات الحسية المرتبطة بسيفه الشهير، ذي الفقار، كما ويصف الإمام علي(عليه السلام) تمرد معاوية بأنه ناتج عن "**سفاهة الرأي**" ويحذره من الاستمرار في إغواء أهل الضلال [٤٩].

وبهذا، يُنهي الإمام علي (عليه السلام) الرسالة بتحويل المواجهة العسكرية إلى مواجهة إلهية، يمثل فيها الإمام علي(عليه السلام) أداة العقاب التي تؤدي إلى الموت الروحي قبل الموت الجسدي.

وما كان من معاوية إلا الرد بسخرية من كل ما قدمه الإمام علي(عليه السلام) من جملة المعارف الحججية التي الجم فيها معاوية وكان رد الأخير يحمل التهكم والسخرية إذ جاء بقوله:

(("أمّا بعد، فما أعظم الرّين على قلبك! والغطاء على بصرك والشّره من شيمتك والحسد من خليقتك! فشمّر للحرب واصبر للضرب فو الله ليرجعن الأمر إلى ما علمت والعاقبة للمتقين هيهات هيهات أخطأك ما تتمنّى وهوى قلبك مع من هوى فاربع على ظلعك وقس شبرك بفترك لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشكّ علمه والسلام"))[٥٠]

وجاء رد الإمام علي(عليه السلام) على الرسالة انفاً والتي يوضح من خلالها قمة التفكير من قبل الامام بالأمة ومحاولة منه تجنب إراقة الدماء فدعا معاوية الى الاقتتال منفرداً، كما يؤكد الإمام علي (عليه السلام) أن فشل معاوية في الوصول إلى حل سياسي سليم ليس سبباً عسكرياً أو سياسياً، بل هو نتيجة لـ مساوئه وعيوبه الشخصية التي يعلمها الله تعالى. وبهذا، يجعل الامام علي (عليه السلام) من معاوية شخصية ميؤوساً من صلاح أمرها بحكم إلهي مسبق، يمنع عنه التوفيق والإصلاح، كما ان مخاطبته بـ "**يا ابن الصخر اللعين**" في إشارة واضحة إلى أبيه، أبي سفيان بن حرب، الذي كان من أشد المعادين للإسلام، وهي طريقة لربط معاوية بالإرث المعادي للدعوة[٥١].

فضلاً عن وصفه بـ: "الجلف"، "المنافق"، "الأغلف القلب"، "القليل العقل"، "الجبان"، و "الرذل". هذه الصفات تُدمّر أي أساس أخلاقي أو عقلي يمكن أن يستند إليه معاوية في قيادته للتمرد، فضلا عن ان هذه الصفات هي صفات شيطانية[٥٢].

ينتقل الإمام علي(عليه السلام) من الإهانة اللفظية إلى التحدي العملي، مستدعياً مبدأ المبارزة لإنهاء الصراع دون سفك دماء المسلمين، مؤكداً في الوقت نفسه على فضله السابق في قتل أعداء الدين من أقارب معاوية[٥٣].

وكالعادة جاءت رسالة معاوية تحمل في طياتها كمية من السخرية والاستهزاء والتطاول على شخص الامام، من خلال ادعاءه بأفضلية الخليفة عثمان واتهامه للإمام بانه حسد الأخير ويبغضه من خلال ((**"نظرك الشزر وقولك الهجر تنفُّسك الصُّعداء تأخرك وامتناعك عن مبايعة الخلفاء"**))[٥٤]

وهذا المقطع هو إطار اتهامي كامل يهدف إلى نزع الشرعية عن موقف الإمام علي (عليه السلام).

كما يشبه الإمام علي(عليه السلام) بانه لم يبايع بإرادته الحرة، بل "**سِيقَ إلى الطاعة سوقًا**"[٥٥]، مما يحمل سخرية لاذعة من وضعه السياسي، ويوحي بأنه شخص لا يمتلك الإرادة السياسية الكاملة في تلك المرحلة، وهو شكل من أشكال السخرية المباشرة التي تهدف إلى التقليل من مكانة المُخاطَب.

فضلاً عن ذلك هناك محاولات لتشويه سمعة الإمام علي(عليه السلام) عبر تغيير وتحريف الأحداث التاريخية. فقد تم تضليل بعض الناس من خلال نشر أقاويل كاذبة عن الإمام علي(عليه السلام)، من خلال إلقاء الشكوك على صحة المواقف التي تؤكد على فضله وفطانته الدينية[٥٦].

وهذا تهكم واضح لتروج الروايات والسير السياسية للسخرية من الإمام علي(عليه السلام) وتصويره بشكل سلبي، وذلك بهدف تقويض شعبية الإمام بين الناس وعرقلة انتشار تعاليمه.

المبحث الثالث: السخرية من تعاليم الامام علي (عليه السلام) التربوية

عندما نتطرق إلى تعاليم الإمام علي(عليه السلام) التربوية والقيم النبيلة التي دعا إليها، نجد أن الأمويين واجهوا تلك التعاليم بتحدي واستخفاف، وإن تاريخ الأمويين يعكس انتقادهم المستمر وإساءتهم لتلك التعاليم، وذلك لأنهم شعروا بتهديدها لنظامهم السائد.

كان الإمام علي(عليه السلام) عبقريًا ومربياً متفانياً، على مر الزمان، فقد أنشأ مدارس تربوية تهدف إلى تنمية الفكر والأخلاق لدى الناس، لكن يبدو أن الأمويين، لم يكونوا يثقون في هذه التعاليم؛ فقد أرادوا أن يحتفظوا بموقعهم المستحوذ عليه بالقوة. اذ وضعوا(("**مطاعن كثيرة في علي وفي ولديه ونسبوه تارة إلى ضعف العقل وتارة إلى ضعف السياسة وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها**"))[٥٧]،

ان أحد الأمثلة الواضحة على استخفاف الأمويين بالتعاليم التربوية للإمام علي(عليه السلام) هو مقتل الإمام(عليه السلام) على يد الخوارج[٥٨]. فالخوارج، المتشددين الذين يعتقدون بالخروج على الإمام الروحي والحاكم الشرعي[٥٩]، استغلوا ذلك لتبرير قتل الإمام علي(عليه السلام)[٦٠]، وإقصاء الإمام علي (عليه السلام) من الحُكم، من أبرز الشواهد الدالة على سخرية الأمويين رغم وصايته الشرعية ومواكبته لتعاليم الإسلام، هذا الإجراء الذي يشير إلى الاستهانة بقيم التعاليم التربوية للإمام علي(عليه السلام) وتجاهلها. فالأمويون، على وجه التحديد، لم يتدخلوا لمنع هذه الجريمة البشعة ان لم تكن لهم اليد الطولى في عملية قتل الامام علي(عليه السلام)، وفقًا لأجندتهم الخاصة ورغبتهم في الإبقاء على نظام الحكم القائم [٦١] .

فضلاً عن ذلك، قام الأمويون بتعزيز الجهل والتخلف بين الناس عن طريق قمع تعاليم الإمام علي (عليه السلام). اذ كانوا يروجون لفكرة أن الإمام علي(عليه السلام) وأتباعه لا يمتلكون الشرعية والعلم المطلوب لقيادة الناس[٦٢]. وبالتالي، قللوا من شأن القيم النبيلة التي أراد الإمام نشرها في المجتمع[٦٣]، من خلال اختلاق مسآلة الجماعة ولاسيما عام ٤١هـ الذي سمي بعام الجماعة التي روجوا لها[٦٤] ، ومن ثم عملوا على السخرية من تعاليم الامام علي(عليه السلام) من خلال كتب معاوية التي أرسلها الى عمالة يطلب فيها من عماله بعدم رواية أي شيء فيه فضل للإمام علي(عليه السلام) ولاسيما جميع أقواله او افعاله التربوية والأخلاقية، فضلاً عن عدم إجازة أي احد من شيعة الامام علي (عليه السلام) وأهل بيته شهادة، ومن ثم كتب معاوية الى عماله بضرورة رواية فضائل الخليفة عثمان وتقريب شيعته واكرامهم في محاولة منه للتقليل والاستخفاف في كل التعاليم التربوية للإمام علي ومقابلتها بتعاليم اقل شأناً منها[٦٥]. إذ كتب الى عماله يقول لهم:

(("**ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبى تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة فان هذا أحب إلى وأقر لعيني وادحض لحجة أبى تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله**"))[٦٦]

فضلاً عن ذلك تضمن حكم الأمويين فترات طويلة من التعنت والعنف والقمع ضد الأشخاص الذين كانوا يرفضون سياساتهم. كما استخدموا العنف بشكل واسع في تربية الشباب على أفكارهم وتجنيدهم لمصالحهم الشخصية، وهو ما يعارض تمامًا رؤية الإمام علي في تربية الأجيال وتقديم التعليم العادل والمستنير.

ومن الجوانب الأخرى التي استخف بها الأمويون هي تعاليم العدل والمساواة وتحقيق العدالة الاجتماعية، من خلال تأكيدهم على مسألة الطاعة لهم من قبل المجتمع[٦٧]. فالأمويون كانوا يمارسون الظلم والاستغلال في حكمهم، إذ كان الأغنياء يعيشون على حساب الفقراء والمحتاجين. فـ "**لما جاءت الدولة الاموية لم تسر على نظام ثابت في هذه الناحية، ولكنها جعلت الغاية هي تمكين الامر لها وتثبيت دعائمه واستخدمت الاموال واستغلت العطاء لتحقيق هذه الغاية، فكان معاوية يزيد العطاء وينقصه او يقطعه على حسب الاقتضاء**"[٦٨] هذه الممارسات التي عرف بها الحكم الأموي ساهمت بشكل كبير في انحطاط المجتمع وتفككه.

يعد العدل والإنصاف أحد أبرز مفاهيم الإمام علي(عليه السلام) التربوية، إذ كان يؤمن بأن العدل هو أساس النظام الاجتماعي، وأنه يجب على القادة والمعلمين أن يكونوا عادلين في معاملتهم للآخرين. وحث على معالجة الناس بالمساواة، بغض النظر عن انتماءاتهم الاجتماعية أو العرقية [٦٩].

في المقابل يظهر لنا أن الأمويين قد استخفوا وتعمدوا إساءة التعامل مع تعاليم الإمام علي (عليه السلام) التربوية، قاموا بتجاهلها وتحريفها لتناسب مصالحهم الحاكمة، لقد سعوا لإبقاء السلطة والاحتفاظ بالنظام القائم، حتى على حساب القيم النبيلة والتعاليم الرفيعة التي أراد الإمام (عليه السلام) نشرها في المجتمع، وهي التوحيد وعدم الشرك بالله عز وجل، إذ روي((**"أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب الحد في دينك، وصد عن سبيلك فالعنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليما وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشاربها على المنابر، إلى خلافة عمر بن عبد العزيز**"))[٧٠]، وفي مثل هكذا حالات تعبر عن سخرية الامويين بالتعاليم التربوية والتي تنم عن تدني واقعي في المجتمع الإسلامي بعد ان اخذ يتخلى عن شعاراته الحقيقية التي نادى بها في بدايات الإسلام، فاللعن الذي اطلقه الامويين واوصوا به عمالهم ما هو إلا نتيجة استهزائهم وتهكمهم بالمبادئ الحقيقة لأصول الإسلام وتعاليمه التربوية، إذ تولد مجتمعاً بعيداً عن الحقيقة التي كان يتطلع اليها الامام علي في أن يرى مجتمعاً متماسكاً يطبق التعاليم الإسلامية.

كان الإمام علي(عليه السلام) يتطلع الى مجتمع انساني بعيد عن النزعة القبلية التي تعد إرثاً شيطانياً يزينه الشيطان لأوليائه [٧١]، وفيها يبين أن الشيطان أحق بالمحاربة من هؤلاء الضعفاء الذين يقع عليهم الظلم ويلحقهم الحيف بسبب النزعة القبلية التي عمل بنو أمية لترسيخها[٧٢] إيماناً منهم بدحض التعاليم التي أرساها الإمام علي وكان يحث عليها، إذ روي أنه قال:

(("ان قريشاً لم تعز في جاهلية ولا إسلام الا بالله عزوجل ولم تكن بأكثر العرب واشدهم، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم انسابا، واعظمهم أخطاراً، واكملهم مروءة"))[٧٣].

كان التواضع والرحمة من الصفات الأخرى التي دعا إليها الإمام علي(عليه السلام)، رغم أنه كان شخصية ذات سلطة ونفوذ، إلا أنه كان متواضعاً ومتعاطفاً مع الآخرين، حث على الرحمة والعطف في التعامل مع الناس، ودعا إلى تعزيز العلاقات الإنسانية المبنية على الاحترام المتبادل والأخوة[٧٤].

إلا أن بني أمية ولاسيما معاوية وجد نفسه ارفع من كل الناس واخذ يدعوا لنفسه وينزهها عن مثالبها الملصقة بها دعماً منه لتغيير كل الثوابت الإسلامية والشريعة ومخالفة الإمام علي(عليه السلام) من باب الاستهزاء والتهكم والذي يكمن في افعاله خلال حياته.

الخاتمة:

إن اتباع أسلوب السخرية والاستهزاء، وإلصاق التهم الباطلة كان الهدف منها.

١- التأثير على شخص الإمام علي(عليه السلام) لعله ينهزم نفسياً، وجعله يعيش عقدة الحقارة والضعة، فلربما يتخلى عن هذا الأمر.

٢- الحط من كرامة الإمام علي(عليه السلام)، وابتذال شخصيته، بهدف تنفير أصحاب النفوس الضعيفة من متابعته، وصرفهم عن اتباعه. ولهذا نجدهم: يغرون سفاءهم بإيذائه وتكذيبه.

ورغم كل ذلك فإن الإمام علي لم يتأثر كثيرًا بسخرية معاوية والهجومات السياسية عليه، إنه ظل المرجعية الروحية للعديد من المسلمين.

٣- من أهم الأسباب، هو حصول تراجع أخلاقي أو روحي او تربوي، إذ أن الخطاب الروحي والأخلاقي للإمام علي حورب من قبل الامويين وغيرهم بشتي الأساليب ومنها السخرية والاستهزاء بمفرداته التعليمية، الأمر الذي أوحى لبعض الناس بالابتعاد عن الحقائق الغائبة، وبذلك فقدت الامة ارجحيتها في تبني العلائق التربوية.

٤- يُعد تعرض الإمام علي(عليه السلام) للسخرية والاستهزاء من قبل معاوية وأتباعه دليلاً على عظمة الإمام علي وخوفهم من أفكاره ومبادئه، ولكن، لم ينجح معاوية في تحقيق أهدافه، بل زاد ذلك من تأييد الناس للإمام علي وتعاطفهم معه، وبقيت أفكار الإمام علي خالدة إلى يومنا هذا.

٥- إنّنا بحاجة إلى صرخة تنادي على القيم الأخلاقية الرفيعة كي تُستحضر في الحياة، لتكون هي الهدف من وراء التعاليم التربوية للإمام علي(عليه السلام)، لتنظيم حياة الإنسان تمهيداً لحلول القيم الأخلاقية في المجتمع.

الهوامش :

(١) ألفراهيدي، العين، ج ٤، ص ١٩٦.
(٢) أبن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥.
(٣) الفرأهيدي، العين، ج ٤، ص ١٩٦.
(٤) بن منظور، اللسان، ج ٤، ص ٣٥.
(٥) إبن منظور، لسان ، ج ٤، ص ٣٥٣.
(٦) التوبة: الاية ٧٩.
(٧) التوبة: الاية ٧٩.
(٨) إلفراهيدي، العين، ج ٤، ص ١٩٦.
(٩) الحجرات: الاية ١١.
(١٠) االقرطبي، الجامع لأحكام القران، ج١٦، ص٣٢٤.
(١١) التوبة: الاية ٧٩.
(١٢) البقرة: الاية ١٤.
(١٣) الصافات: الاية ١٤.
(١٤) التوبة: الاية ٦٥.
(١٥) الحجرات: الاية ١١.
(١٦) معجم إلمصطلحات العربية في اللغة والأدب ١٩٨.
(١٧) الهوال،السخرية في أدب المازني، ص ٣٥.
(١٨) المعجم الأدبي ١٣٨.
(١٩) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١٨٣.
(٢٠) لسان العرب، ج ١٢، ابن منظور، ص ٦١٧
(٢١) الزمخشري، أساس البلاغة، ج١، ص٧٠٤.
(٢٢) بن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٤.
(٢٣) الزبير ابن العوام بن خويلد الأسدي القرشي (٢٨ ق.هـ – ٣٦ هـ / ٥٩٤ – ٦٥٦ م)، ابن عمة النبي محمد (صلى الله عليه واله)، ويجتمع نسب الزبير مع النبي محمد (صلى الله عليه واله) في جدهما قصي بن كلاب، كما أن له صلة قرابة مباشرة وقوية بالنبي، فوالدته هي صفية، عمة النبي (صلى الله عليه واله) وهو أيضًا زوج أسماء بنت أبي بكر، قتل في معركة الجمل سنة ٣٦ هـ/ ٦٥٦م. للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٠٠؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١، ص٢٤.

(٢٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي (٢٨ ق.هـ – ٣٦ هـ / ٥٩٤ – ٦٥٦ م)، وهو أحد الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب لاختيار الخليفة. قُتل طلحة بن عبيد الله في معركة الجمل سنة (٣٦ هـ/ ٦٥٦م). ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج١، ص٢٤.

(٢٥) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٤.

(٢٦) رحيم، حروب الامام علي (عليه السلام) تداعياتها ونتائجها، بحث منشور في مجلة دراسات الخليج العربي، المجلد ٥٣، العدد ١، اذار ٢٠٢٥، ص١٢–١٣.

(٢٧) بن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٥.

(٢٨) إبن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٥.

(٢٩) آبن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٥.

(٣٠) بن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٥.

(٣١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٨٧٠.

(٣٢) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج١، ص٧٥.

(٣٣) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٣–١٣٤.

(٣٤) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٣–١٣٤.

(٣٥) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٣–١٣٤.

(٣٦) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٣–١٣٤.

(٣٧) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٤.

(٣٨) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٤.

(٣٩) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٤.

(٤٠) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٤.

(٤١) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٤.

(٤٢) المنقري، وقعة صفين، ص٤٨٩.

(٤٣) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٤٤) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٤٥) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٤٦) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٤٧) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٤٨) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٤٩) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٥٠) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.

(٥١) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص١٣٥.
(٥٢) رحيم، حروب الامام علي (عليه السلام) تداعياتها ونتائجها، بحث منشور في مجلة الخليج العربي، المجلد ٥٣، العدد ١، اذار ٢٠٢٥، ص١٤.
(٥٣) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٢٧٨.
(٥٤) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٢٧٨.
(٥٥) البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٢٧٨.
(٥٦) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٨٦.
(٥٧) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٩.
(٥٨) بن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٨٠-١٨٣؛ االبلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص٢٥٢-٢٥٤و ٢٥٦-٢٥٧؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٤ ص١١٠-١١٣ -١١٥ وص١١٦؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١١-٢١٢؛ ابن حبان، الثقات، ج٢، ص٣٠٢-٣٠٣؛ ألاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص١٨-٢٢؛ بن الاثير، الكامل في التاريخ، ص٤٦١؛ ابن اعثم، الفتوح، ج٤ ص٢٨٢؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢١٣ وص٢١٦؛ لذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٣ ص١٤٣؛ بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج١٨ ص٢٢٤.
(٥٩) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١ ص ١٦٨؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٣ ص١٢٨؛ الدينوري، الاخبار الطوال، ص٢٠٧-٢٠٩.
(٦٠) هشام جعيط، الفتنة، ص٢٢٦-٢٢٧.
(٦١) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٧٣.
(٦٢) رضوان السيد، الجماعة والمجتمع،ص٣٩.
(٦٣) بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٦،ص ٣٦.
(٦٤) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٠٩.
(٦٥) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤.
(٦٦) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٥.
(٦٧) البلاذري، انساب الاشراف، ج٥، ص٢٠ ومابعدها؛ابن عبد ربه، العقد الفريد،ج٤، ص١٢.
(٦٨) النجار، الموالي في العصر الاموي، ص٦٠.
(٦٩)بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١ ص٢٩٣.
(٧٠) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة،ج٤، ص٥٦-٥٧.
(٧١) بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٣، ص١٣٦-١٣٧.
(٧٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج٦، ص٢٣٢.
(٧٣) لطبري، تاريخ الطبري، ج٤. ص٣١٩؛بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٣٠.
(٧٤)بن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص١٣٢.

اولاً: المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**
- **أبن الأثير:علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)**

١. الكامل في التاريخ، (ب.ط، دار صادر – دار بيروت ، ١٩٦٦ م) .

- **إبن أعثم الكوفي: أحمد بن أعثم (ت ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .**

٢. الفتوح،تحقيق: علي شيري، (ط١، دار الأضواء، بيروت ١٩٩١ م).

- **البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .**

٣. أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، (ب.ط، دار المعارف، مصر. ب.ت).

- **ابن حبان: محمد بن حبان بن احمدالبستي (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م) .**

٤. الثقات، (ط١، حيدر اباد الدكن، الهند، ١٩٧٣ م).

- **ابن ابي الحديد: عبدالحميد بن هبةالله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) .**

٥. شرح نهج البلاغة، تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم، (ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩ م).

- **أبو حنيفة الدينوري: أحمدبن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م) .**

٦. الأخبارالطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر، (ط١، دار احياء الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٠ م) .

- **الذهبي: محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) .**

٧. سيرأعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣ م).

- **رضوان السيد**

٨. الجماعة والمجتمع والدولة، (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت –٢٠٠٧م).

- **الزمخشري: محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣م) .**

٩. أساس البلاغة، (ط١، دار ومطابع الشعب – القاهرة، ١٩٦٠م).

- **أبن سعد، محمدبن منيع البصري، (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م).**

١٠. الطبقات الكبرى،تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط١، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠ م).

- **السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .**

١١. تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين، (ب.ط، مطبعة اوفسيت منير– بغداد (١٩٨٦م).

- **الطبري: محمد بن جرير(ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .**

١٢. تاريخ الطبري، تحقيق: لجنة من العلماء الاجلاء، (ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان ١٩٨٣ م).

- **ابن عبد ربه:أحمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) .**

١٣. العقد الفريد،تحقيق: مفيد محمد قميحة، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ م).

- **الفراهيدي:الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ / ٧٩١م) .**

١٤. العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، (ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قم ١٤١٠هـ).

- **ابن قتيبة الدينوري: عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م) .**

١٥. الامامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، (ط١، مطبعة أمير، قم المقدسة١٤١٣ هـ).

- **ابن منظور: محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) .**

١٦. لسان العرب، (ط١، نشر أدب الحوزة، قم المقدسة ١٤٠٥هـ).

- **النجار: محمد الطيب**

١٧. الموالي في العصر الاموي، (ط١، دار النيل للطباعة – القاهرة، ١٩٤٩).

- **ابن هشام الحميري** (ت٢١٨هـ/

١٨. السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين (ط١، مكتبة محمد علي صبيح، مصر، ١٩٦٣م)

- **هشام جعيط**

١٩. الفتنة (جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر)، ترجمة: خليل احمد خليل، ط٣، بيروت –١٩٩٥.

- **الهوال: د. حامد عبد**

٢٠.السخرية في أدب المازني، (ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر, ١٩٨٣م).

ثانياً: المجلات والدوريات :

- **رحيم، د. اروى عبد الواحد**

٢١.مجلة الخليج العربي، (المجلد ٥٣، العدد ١، اذار ٢٠٢٥)